ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 38 - العدد 1081 - الجمعة 2 شعبان 1425 هـ - الموافق 18 شتنبر 2004

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

حول الإسراء والمعراج

الآيات التي رآها الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء والمعراج

الحيـــاة الدينية بالمغـرب المريـني

ضـوابط التعـامل مـع العلمـاء

المحبـة في حيـاة النـاس

القوة الاثباتية في الوثيقة العدلية

الإسـلام قوي بالعدل والمشروعية

لقد حض الإسلام على التمسك بالعدل وحرمة حقوق الآخرين، وتكمن قوته في مناهضة الظلم ومحاربة شريعة الغاب، ولا يقبل من الكائن البشري – في توجيهاته السامية التي ترمي إلى المساواة واحترام حقوق الآخرين وواجباتهم – الظلم، ويحذر من ارتكابه لما ينشأ عنه من عدم الأمن والاستقرار، قال تعالى: "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون" وفي الحديث عن الإمام علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عز وجل: "اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصرا غيري" وفي الأثر: (ما من مظلمة أشد من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عونا إلا الله" فالظلم ظلمات يوم القيامة وفي الأثر: (إن الله أوحى إلى نبي من أنبيائه في مملكة جبار الجبارين إن أتيت هذا الجبار فقل له: (إني لم استعملك على سفك الدماء واتخاذ الأموال وإنما استعملتك لتكف عني أصوات المظلومين فإني لم أدع ظلامتهم وإن كانوا كفارا).

تنام عينك والمظلوم منتبه** يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقال شاعر آخر:

وما من يد إلا يد الله فوقها** وما ظالم إلا سيبلى بظالم

وهكذا يحذر الإسلام ومن له حكمة وضمير إنساني حي من الظلم ومن الحيف على الغير والمس بحقوقه والنيل من كرامته.

فالإسلام كتابا وسنة يحرم الظلم وينبه على عواقبه الوخيمة لئلا تقربه الإنسانية ولا تحوم حوله قال تعالى: "ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالوادي وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد". فهذا التهديد والوعيد الذي ينذر به الإسلام الظالم يجعل من له عقيدة سليمة وإيمان صحيح بما جاء به نبي الرحمة يبتعد كل البعد من أي ممارسة في العمل تمس بحق الغير كيفما كان دينه وكيفما كان معتقده.

فتوجيهات الإسلام ربانية وتدعو لما يوفر للإنسان أمنه واستقراره وتقدمه وازدهاره، ويأذن بالدفاع عن النفس في إطار المشروعية إذ أن الإسلام يدعو البشرية إلى سلوك سبيل الاستقامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يقبل من الكائن البشري الاعتداء أو الظلم والاستعلاء على الغير.

يقينا أن ديننا يسمح بالدفاع عن النفس ويحرم الظلم والتجني ويلح على الرجوع إلى السلم بدون تطاول البعض على البعض، قال تعالى: "وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله".

وألح الكتاب بما فيه الكفاية على المؤمنين أن يبتعدوا عن الصراعات والقلاقل والخلافات التي لا تخدم أمنا ولا حق إنسان، قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين".

فالواجب علينا أن نستجيب لنداءات السلام نحن بني الإنسانية حسبما يدعو له كتاب الله وتقرره سنة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.

فالله يدعونا أن ندخل في السلم كافة ولا نتبع خطوات الشيطان، ذلك الشيطان الذي يهز كيان الأمن ويزرع القلاقل ويفجر الحروب بين شرائح المجتمع، فلنتق الله في أنفسنا وبني الإنسانية بصفة عامة، وليعلم الكل أن المعتدي على الشعوب وكياناتها لم يترك نفسه تخفى على الناس، فكفى من الاستخفاف بأرواح البشرية وحريتها وحقوقها الإنسانية وأموالها وخيراتها.

إن الإنسان المربى هو الذي يقمع الظلم وينشر العدل ويزرع المحبة لتعيش الإنسانية في أمن وسلام ومحبة واطمئنان.

فليتق الله القوي في الضعيف، وليحذر الضعيف من الانزلاقات العاطفية التي تجر عليه ما لا يحمد عقباه.

فالله نرجو أن يوفق الإنسانية لما فيه صلاحها إنه ولي التوفيق.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

جبل مكة المباركة

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ بعد أن حدثنا التجيبي عن منى، وعن أهم معالمه كمسجد الحنيف، ومسجد الكبش، وجمرة العقبة، وغار والمرسلات، وعن السيدة الجليلة زبيدة بنت جعفر ابن أبي جعفر وعن مبراتها بمكة ومنى، وحدثنا كذلك عن مسجد بطريق التنعيم وعن المتكأ بقربه، وعن بئر عسيلة وعزوبة مائها، تحدث بعد ذلك عن جبال مكة، فقال: "فمنها جبل أبي قبيس، سمي باسم رجل من مذحج، كان يقال له أبو قبيس، وكان أول من نهض ببنْن فيه، فلما صعد فيه البناء سمي به ، وقيل كان يسكنه في قديم الزمان فسمي به، وقيل بل سمي برجل هلك فيه أو تردى منه من جرهم، اسمه قبيس بن شامخ، وقع ذكره في حديث عمر بن مضاض، وقيل بل لأن الركن اقتبس منه، والقول الأول أشهر الأقوال، والله تعالى أعلم، ويقال له أبو قابوس، على لفظ كنية الرجل، قال الكميت:

"بسفح أبي قابوس يَنْدُبْنَ هَالِكًا
تخفض ذات الولد عنه وقوبها

وهو أحد أخشبي مكة. الأخاشب اسم لجبال مكة ومنى خاصة. وأحد الأخشبين أبو قبيس، والآخر: الجبل الأحمر. ويقال لهما: الحبحابان، ويقال: مابين حَبْحَبَيْها أفضل من فلان ، وقال ابن وهب: الأخشبان الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى فوق المسجد، وهو ظاهر قول ابن عمر في جامع الحج. أي بموطأ الامام مالك. والله تعالى أعلم، ويقال: إنه أول جبل وضعه الله على الأرض، وهو أقرب الجبال إلى المسجد الحرام، ويقابله من الكعبة الحجر الأسود، ومنه يظهر جمال الحرم الشريف واتساعه، وبهجة الكعبة المعظمة، ورونق ديباجها، وحسن الطائفين بها، ومنه يظهر سائر مكة...

وبعدما تحدث عن جبل أي قبيس وعن موقعه من مكة، وعن أسمائه يقول: "وروينا في صحيح البخاري رحمه الله من مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "انشق القمر ونحن مع رسول الله (ص) بمنى، فقال: اشهدوا، وذهب فرقة نحو الجبل" قال أبو الضحى، عن مسروق عن عبد الله انشق بمكة".

قال التجيبي: ورأينا فيه أيضا كهفا صغيرا يقصده الناس قيل لنا: إنه الموضع الذي كان فيه الحجر الأسود مستودعا من الطوفان، وأنه بقي فيه إلى أن بنى إبراهيم عليه السلام..."

وفند التجيبي مايقوله الناس عن شجرة بجبل أبي قبيس بأنها الشجرة التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، وأن الشجرة المبايع تحتها ليس هذا مكانها بل مكانها في الحديبية، والحديبية قرية، سميت باسم بئر هناك عند المسجد الذي يعرف بمسجد الشجرة، على تسع مراحل من المدينة، وبين الحديبية ومكة مرحلة، وأبو قبيس بداخل مكة المشرفة، ولم يدخلها النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك العام... ثم يقول: وقد روى ابن وضاح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أمر بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي صلى الله عليه وسلم، لأن الناس كانوا يذهبون تحتها، فخاف عمر الفتنة عليهم، وقد نقل ذلك عن الامام مالك رحمه الله أنه كره طلب موضع الشجرة التي بويع تحتها النبي صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان، وذكر ابن عبد البر في صدر كتاب الاستيعاب: عن جابر بن عبد الله (ض) أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبايع تحت شجرة، إلا الشجرة التي عند الحديبية...ثم قال: ويقال: إن بهذا الجبل المبارك قبر آدم عليه السلام،قاله ابن وهب وغيره، وقيل إن قبره بمسجد الخيف بمنى، قاله ابن عباس (ض) وقيل غير ذلك، . أي في مدفن آدم عليه السلام.

وينقل التجيبي حكاية عن الليث بن سعد، صديق الإمام مالك إمام الديار المصرية انه قال: حججت سنة ثلاث عشرة ومائة فأتيت مكة فلما أن صليت العصر رقينا إلي أبي قبيس، فإذا أنا برجل جالس وهو يدعو، فقال يارب، يارب حتى انقطع نفسه، ثم قال يارباه، يارباه، حتى انقطع نفسه، ثم قال: رب، رب، رب حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا ألله،ياألله، حتى انقطع نفسه، ثم قال: ياحي، ياحي حتى انقطع نفسه، ثم قال يارحيم حتى انقطع نفسه، ثم قال: ياأرحم الراحمين حتى انقطع نفسه، سبع مرات، ثم قال: اللهم إني اشتهي من هذا العنب فأطعمتيه، اللهم إن بُرْدَيَّ قد أخلقا، قال الليث: فوالله ما استتم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنبا وليس على الأرض يومئذ عنب، وبُرْدَيْن موضوعين، فأراد أن يأكل فقلت: أنا شريكك، فقال لي: ولم ؟فقلت: لأنك كنت تدعو، وأؤمن أنا، فقال لي تقدم فكل ولاتخبئ شيئا، فتقدمت فأكلت شيئا لم آكل مثله قط، وإذا عنب لاعجم له، فأكلت حتى شبعت، والسلة لم تنقص شيئا، ثم قال لي خذ أحَبَّ البردين إليك، فقلت له: أما البردان فأنا غني عنهما، قال لي تَوَارَعَنِّي حتى ألبسهما، فتواريت عنه، فاتزر بإحداهما وارتدى الآخر، ثم أخذ البردين اللذين كانا عليه، فجعلهما على يده، ونزل فاتبعته حتى إذا كان بالمسعى لقيه رجل، فقال له: اكسنى كساك الله، يابن رسول الله فدفعهما إليه، فلحقت الرجل فقلت له من هذا؟ قال هذا جعفر بن محمد، قال الليث: فطلبته لاسمع منه فلم أجده؟ فالتجيبي نقل الحكاية دون سند، على غير عادته، ولم يدقق في نسب أبي عبد الله جعفر الصادق رضي الله عنه، فقد أسقط من سلسلة نسبه: جده علي زين العابدين، وجد والده: الحسين بن علي رضي الله عنهما، ولم ينبه على ذلك محقق الجزء الثاني الموجود من الرحلة، وقد يكوت سقوط اسم الجد وأبيه من النساخ، والله أعلم. هذا: وشخصية جعفر الصادق من الشخصيات البارزة بين علماء عصره تتلمذ عليه الإمام مالك بن أنس، والإمام أبو حنيفة رحمهما الله..

وهو أبو عبد الله جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي، لقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه غير الصدق، كان صدّاعا بالحق، له رسائل، يقال إن جابر بن حيان جمعها، وهو مدني المولد والوفاة (80هـ . 184هـ) ذكره ابن قتيبة وذكر أنه توفي: 186هـ، وقال عنه الشهرستاني: (بالملل والنحل) جعفر بن محمد ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة وزهد بالغ في الدنيا، وورع تام عن الشهوات، أقام بالمدينة يفيد المنتمين إليه، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم، ثم دخل العراق وأقام بها مدة، ماتعرض للإمامة قط، ولانازع أحدا في الخلافة قط... وهو من جانب الأب ينتسب إلى شجرة النبوة، ومن جانب الأم ينتسب إلي أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد تبرأ مما كان ينسب إليه بعض الغلاة، وبرئ منهم، ولعنهم، وبرئ من خصائص مذاهب الرافضة وحماقاتهم من القول بالغيبة، والرجعة، والبداء، والتناسخ، والحلول والتشبيه..." (الملل والنحل للشهر ستاني: 1: 165.166:ط:البابي الحلبي بمصر:1961م) وهو سادس الأئمة الاثنى عشر عند الأئمة من الإمامية، ومن أقواله: "إن الله تعالى أراد بنا شيئا، وأراد منا شيئا، فما أراده بناطواه عنا، وماأراده منا أظهره لنا، فما بالنا نشتغل بما أراده بنا عما أراده منا" حكمة بالغة، وكان يقول في الدعاء: اللهم لك الحمد إن أطعتك، ولك الحجة إن عصيتك، لاصنع لي، ولا لغيري في إحسان، ولاحجة لي ولا لغيري في إساءة"، ويقول في القدر: "هو أمر بين أمرين: لاجبر، ولا تفويض"(×).

وبعد أن عرفنا بالامام جعفر الصادق رضي الله عنه، أقول: إن التجيبي رحمه الله تحدث عن كرامته كما سمعها أو قرأها، ونسب حكايتها للإمام الليث بن سعد رحمه الله، بمناسبة كلامه عن جبل أبي قبيس مكان حدوث الكرامة، ولم يكن الليث بن سعد يعرف العلامة الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقي، ولم يعرف اسم الرجل صاحب الكرامات التي شاهدها إلا بعد أن سمع رجلا يطلب منه أن يكسوه، وينادية يابن رسول الله، فسأله الليث، من هذا؟ فقال هذا جعفر بن محمد، فطلبه الليث فلم يجده.

ومهما يكن من أمر فالتجيبي ذكر لناقصةعالمين جليلين، كان مسرحها جبل أبي قبيس موضوع حديثه، لينتقل بعد ذلك للكلام عن جبل آخر، وهو (جبل ثور) ويكون موضوع الحلقة القادمة بحول الله.

(×) انظر ترجمة جعفر الصادق: في وفيات الأعيان لابن خلكان، وصفوه الصوة لابن الجوزي والمعارف لابن قتيبة، وحلية الأولياء، والمل ولنحل للشهرستاني. والأعلام للزركلي، وغيرها...

بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج نقدم لكم قصيدة بعنوان : سبحان من أسرى ليلا

المعجزات عظيمة الأنباء
في ليلة المعراج والإسراء
حملت لنا الأخبار عن خير الورى
هادي الخلائق سيد العظماء
سبحان من أسرى به ليلا إلى
أرض النبوة مهبط الكرماء
الأنبياء جماعة من خلفه
هذا مقامك يا أبا الزهراء
صليت فيهم والسماء تفتحت
واستقبلت مسراك كل سماء
أبصرت قوما ينهشهون لحومهم
والنار تلعب في غرى الأحشاء
من هولاء يقول جبريل له:
أهل الأذى والطعن بالشرفاء
وحملت من عالي السماء فريضة
ترقى النفوس بها إلى العلياء
الله خص بها العباد تكرما
والمرء يسمو في هذى ودعاء
فتعلمي يانفس من هذي الرؤى
وتمسكي بالشرعة السمحاء
عد يا رسول الله حدث بالذي
شاهدته في الرحلة الغراء
خبرهم النبأ اليقين ولا تني
واصبر على الفجار والجهلاء
فتعجبوا مما يقول المصطفى
وأتو أبا بكر بلا استحياء
إن قالها هو صادق ومصدق
ماقاله حق بلا استثناء
أيقظت معجزة الرسول لو اعجي
فالجرح ينغر بالأسى والداء
لهفي على الأقصى يئن لفقده
من كان ذا قلب وذا إصغاء
نامت صوارم أحمد في أمتي
وتبلد الإحساس في الأحياء
يا للمصاب تفرق وتمزق
وتخبط في حالك الأهواء
إني وإن جل المصاب بأمتي
لا أنتني عن غايتي وغطائي
لله للدين القويم توجهي
وله وقفت محبتي ودمائي
لانهج كالاسلام يصلح حالنا
اعظم به من منهج بناء

الوثاق

مباحث الإمامة

للعلامة عبد القادر الفاسي

قال الشيخ الإمام العالم العلامة ابو محمد سيدي عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين.
باسم الله الذي من اعتصم بحبله نجى وسلم، وأصلي على محمد نبيه وآله وأسلم، صلاة وسلاما يتعاقبان، ما جهل حكم أو علم.
هذه أجوبة متسائل كثر فيها اللغط والشغب وقام لها انتصار والحجاج لها طوائف من كل حدب، لإشارة من إشارته عزم، وإسعاف مرغوبه على حتم، متوخيا في ذلك فصوص النصوص، متنكبا عما يحتمله العموم والخصوص، لأن ذلك أدعى للقبول وأسرع لحسم اللجاج والمقول، فنقول والله المعين على بلوغ المامول.

فصل في حكم المدافعة عنه والقتال عليه

اعلم أنه لا يقاتل إلا مع الإمام العدل، قال ابن العربي قال علماؤنا في رواية ابن سحنون، إنه يقاتل مع الإمام العدل سواء كان الأول أو الخارج عليه فإن لم يكونا عدلين فامسك عنهما إلا أن تراء نفسك أو مالك أو ظلم المسلمين، فادفع ذلك قال ابن عرفة عن الصقلي وقد دون شيخنا القاضي أبو الحسن قول سحنون هذا،

❖❖❖❖❖❖

وفي المبسوطة قال مالك إذا خرج مثل أهل الأهواء على المسلمين، فأفسدوا وسفكوا الدماء، فأرى ألا يقاتلوا إلا أن يكون الإمام عدلا فإن كان عدلا، كان حقا على المسلمين قتالهم، حتى يردوهم إلى العدل والحق، فأما إذا كان الإمام غير عدل فإنه لا ينبغي للمسلمين أن يقاتلوهم إلى أن يردهم إلى الظلم والجور، قال مالك فإذا كان مثل هذا فاقعد في منزلك فإذا أرادوا أخذ مالك فقاتل بسيفك على نفسك، بعد أن تنشدهم الله تعالى، قال ابن القاسم ولو دخلوا مدينة لا يريدون إلا الإمام وحده، فإنهم لا يقتلون إذا كان الإمام جائرا ظالما، إلا أن يريدوا مع ذلك من في المدينة من المسلمين، وأخذ أموالهم فإن مثل هؤلاء يقاتلون بعد المناشدة فإن أبوا قوتلوا.

❖❖❖❖❖❖

وقال يحيى الصواب في الفتنة أن لا يعانوا فيها بشيء، ولا يخرج فيها، ومن أتى في بيته يريد أخذ نفسه وماله، فليدفع عنهما، ونحوه حكى ابن القاسم، وقال ابو الحسن الصغير ولا يجب على المسلمين قتال الفئة الباغية إلا مع الولاة إن رأوا الفساد ظاهرا ولا قيام لله عز وجل بحق المسلمين إلا بالاجتماع والتولية على أنفسهم من يقوم بالحق، ولا يكون الإمام إلا من قريش، لحديث لا تكون الأيمة إلا من قريش، لأن الله لم يخل قريشا من عدل، ومن قام عن غير قريش بالعدل والحق يدعوا إلى العدل فحينئذ يجب على الناس نصرته، وإن لم يدع فلا نصرة له على الناس.

❖❖❖❖❖❖

قال ذلك مالك وغيره من أكابر أهل المدينة وإنما منع مالك من القيام يومئذ،، لأنه لم يقم إمام عدل وليس ير القيام إلا مع العدل، وقال ابن العربي أيضا لا يقاتل إلا مع إمام يقدمه أهل الحق لأنفسهم، ولا يكون إلا قرشيا وغيره لا حكم له، إلا أن يدعوا إلى الإمام القرشي، قال مالك لأن الإمامة لا تكون إلا لقريش، وقد روى ابن القاسم عن مالك إذا خرج على الإمام العدل خارج، وجب الدفع عنه إن كان مثل عمر بن عبد العزيز، وأما غيره فدعه ينتقم الله من ظالم بظالم، ثم ينتقم من كليهما، قال الله تعالى: " ثم بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار" الآية،

❖❖❖❖❖❖

قال مالك وإذا بويع الإمام فقام عليه آخر، إنه يقتل إذا كان الأول عدلا، فأما هؤلاء فلا بيعة لهم، إذ كان بويع لهم على الخوف انتهى.

❖❖❖❖❖❖

وفي مختصر ابن شعبان روى ابن القاسم عن مالك أنه قال، إذا بايع الناس رجلا بالإمارة ثم قام آخر فدعا إلى بيعته فبايعه بعضهم، إن المبايعة الثاني يقتل، إذا كان الإمام عدلا، وأما إذا كان مثل هولاء فليس له بيعة، إذا كانت بيعته على الخوف، والبيعة للثاني إن كان عدلا، وإلا فلا بيعة له تلزم، وقال الأبهري إن تظاهر قوم على إمام عدل أو أخرجوا عليه بالهوى والعصبية كما فعل أهل الشام، جوهدوا حتى يرجعوا إلى الحق، وقال إن السمع والطاعة له أبعد من شدة الشر وذهاب النفوس، فقد وجبت طاعته فيما دعا إليه من الأحكام، وأداء الزكاة إذا طلبها، إلا أنه لا يجب أن يقصد إلى قتال من قعد عن بيعته، ولا يجب على المسلمين نصره ولا سفك دمائهم دونه، إن قام قائم عليه بسبب جوره انتهى.

❖❖❖❖❖❖

فإن قلت إذا كانت نصرة الحق والمدافعة عن الإمام العدل واجبة، فلم تخلف عن القتال مع مولانا علي كرم الله وجهه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن مالك، وابن عمر ومحمد ابن مسلمة، وأسامة بن زيد، ومن التابعين الربيع بن خثيم ومسروق بن الأجدع، والأسود بن يزيد، وأبوعبد الرحمن السلمي، وتخلف عن نصرة عثمان، وأمسك عن المدافعة عنه جميع الصحابة، حتى قتل بداره بعد حصار شديد، فاعلم أن من تخلف عن علي إنما تخلف عن اجتهاد، لأن من السلف من ذهب إلى ترك الدخول في فتنة المسلمين، على اختلاف بينهم، هل يقاتل ويدافع من طلب قتله، ودخل عليه، أو لا يجوز له المدافعة لأن الطالب له غير معتمد قتله وإنما هو متأول كما سياتي بيانه مع ان ابن عبد البر، قال في الاستيعاب أما أبو عبد الرحمن، فالصحيح عنه أنه كان مع علي، وأما مسروق فذكر عنه ابراهيم النخعي أنه ما مات حتى تاب إلى الله من تخلفه عن علي، وصح عن عبد الله ابن عمر من وجوه أنه قال ما آسى على شيء كما آسى أني لم أقاتل الفئة الباغية مع علي رضي الله عنه.

❖❖❖❖❖❖

وفي الأبي في فضائل ابن عمر كان ابن عمر قد اشكلت عليه حروب علي لورعه، فقعد عنها، وقال ابن يونس إن كانوا يظلمون الوالي الظالم، فلا يجوز لك الدفع عنه ولا القيام، ولا يسعك الوقوف علي العدل كان هو القائم أو المقام عليه وقال عياض انحذر المامون إلى محاربة بعض بلاد مصر، وقال للحارث بن مسكين ما تقول في خروجنا هذا، فقال أخبرني ابن القاسم عن مالك أن الرشيد سأله عن قتال أهل دهلك فقال إن كانوا خرجوا عن ظلم السلطان فلا يحل قتالهم، وقال الأبي وانظر أشياخ البلاد المنحازين لأنفسهم، كان الشيخ يعني ابن عرفة يقول غايتهم انهم عصاة، لأنهم لم يشقوا عصا، وإذا دعى الإمام إلى قتالهم، فإن كان لإقامة حق وجبت طاعته، وإلا لم تجب انتهى.

وفي كتاب الاستغناء قال بعض المتاخرين الأيمة على ضروب فإمام صار إليه الأمر عن رضى من جميع المسلمين بأحواله وصفاته وعدله أو صار إليه من غير تشاور ولا تناظر ولا قتال عليه إلا توليجا ممن ولجه إليه فرضي المسلمون فعله وهديه إذ صار الأمر إليه ورأوه لذلك أهلا فواجب عن المسلمين الذب عن مثل هذا واما من صار إليه بعد الغلبة عليه دون مشورة استوطا له الأمر وظهر عدله كظهوره من الخلفاء الراشدين فواجب على المسلمين نصحه ولزوم الطاعة له والدعاء بالبقاء والصلاح.

❖❖❖❖❖❖

واما من أخذ الأمر غلبة من غير مشورة ودعا الناس إلى بيعته وظهر منه الجور في الأموال والدماء وغير ذلك إلا أن أمره قد استوطأ وملك وغلب وامن الناس معه من الفتنة التي تذهب الدين والمال وتوجب سفك الدماء وتسلط عوام الناس وخواصهم بعضهم على بعض، وعلم وندم على ذلك حين حضرته الوفاة وروى عنه من أوجه انه قال ما أسف على شيء فاتني إلا لتركي لقتال الفئة الباغية مع علي على أن هذا ليس هو من فروض العين انما هو من باب تغيير المنكر وقد علم أن تغيير المنكر من فروض الكفايات يحمله من قام به ويسقط الطلب عن الباقين فلا إثم على من تخلف ولا خرج وقد صرح بفريضة على الكفاية ابن العربي وخصه قوله فقاتلوا التي تبغي الآية أمر بالقتال وهو فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين ولذلك تخلف قوم من الصحابة عن هذه المقامات كسعد وابن عمر وابن مسلمة وغيرهم وصوب ذلك على بن أبي طالب لهم واعتذر إليه كل واحد منهم بعذر قبله فتبين أنه ليس على الكل درك فيما فعل وإنما كان تصرفا بحكم الاجتهاد، وقال بن بطال دعا على بعضهم إلى القتال معه فأبوا أن يجيبوه فعذرهم فكذا يجب على الإمام أن لا يعيب على من تخلف عنه في قتال البغاة انتهى،

❖❖❖❖❖❖

واما نصرة عثمان رضي الله عنه فما منع الصحابة منهما إلا عثمان لأنه قيل له الا نقاتل عنك قال لا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلي عهدا وانا صابر وقال لا أكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته بالقتل فصبر على البلاء واستسلم للمحنة وفدى بنفسه الأمة قال ابن العربي فكانت قتلة عمر مصيبة في الإسلام خاصة وقتلة عمر مصيبة في الإسلام عامة عزاؤها المصيبة برسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رضي الله عنه وطالبوه أربعة آلاف وفي المدينة أربعون ألفا كلهم لا يريدون قتله ويريدون نصره لكن منع الكل واستسلم للعهد الذي كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرض أن يراق بسببه دم ورضي أن يكون عبد الله المظلوم ولا يكون عبده الظالم وكل من في المدينة بريء من دمه إلا أربعة آلاف انتهى على انه قد كان محاصرين معه جماعة من الصحابة وأولادهم كالحسن والحسين قال لهما علي اذهبا بسيفكما حتى تقفا على باب عثمان ولا تدعا أحد يصل إليه، وبعث الزبير ولده وطلحة ولده، وبعث عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولادهم،

وخضب وجه الحسين رضي الله عنه بالدم واختار عثمان الاستسلام وعدم المدافعة عنه، فإن قلت بما معنى حديث إذا توجه المسلمان بسيفهما القاتل والمقتول في النار واحدا دين الفرار من الفتن والهجرة من أرضها إن أمكنت وإلا فيعمد إلى سيفه ويدقه على حجر وغير ذلك مما يطول سرده.

❖❖❖❖❖❖

فاعلم إن حديث القاتل والمقتول في النار محمله عند العلماء في قتال العصبية أو للدنيا كما في حديث مسلم من قاتل تحت راية عميت يغضب لغضبه بالغين والضاد معجمتين للعذر أو يدعوا إلى غضبه أو ينصر غضبه فقتل فقتلته جاهلية وفي رواية غير العذر فيها كلها عصبة بمهملة لا في قتال التأويل كالقتال الواقع في الصدر الأول فإنه مجتهدون غير قاصدين العصبية وبهجة الدنيا والمصيب منهم في اجتهاده له أجران والمخطىء له أجر وأما أحاديث الفرار من الفتن فقد احتج بها من ذهب من السلف إلى ترك الدخول في الفتنة لأن للسلف في ذلك مذهبين فقالت طائفة بعدم الدخول في فتن المسلمين لكن هل يدافع عن نفسه من دخلت عليه طائفة يطلبون قتله وهو مذهب ابن عمر وعمران بن حصين ولا يجوز له الدفاع عن نفسه لأن الطالب متأول وهو مذهب أبي بكر الصحابي وقال لو دخلوا على ما بهشت بقصبة أبي دافعت فكيف أقاتلهم.

❖❖❖❖❖❖

وقال معظم الصحابة والتابعين يجب نصر المحق في الفتن والقيام معه ومقاتلة الباغي، كما قال تعالى: فقاتلوا التي تبغي الآية وهذا هو الصحيح وتحمل أحاديث النهي على ما إذا لم يظهر له المحق والمصيب من الفئتين أو تحمل على طائفتين مبطلتين لا تأويل لواحدة منهما فهذه الصورة هي التي يحرم الدخول فيها وفي الصورة الأولى يجب الحق الكف حتى يتبين الحق فإذا تبين وجبت نصرة أهله ولو وجب الكف وعدم الدخول كما قال الأولون لم يقم لله بحق ولا أبطل باطل ولوجد البغي السبيل وظهر الفساد.

❖❖❖❖❖❖

قال الطبري وقد يكون ما ورد من كسر السيف ولزوم البيت خاصا بمن أمره صلى الله عليه وسلم بذلك فإن قلت سلمنا ان للعدل يجب نصرته والقتال معه وغير العدل لا يجب القتال معه وهل يجوز أن يقاتل معه ويعانى على من خرج عليه أم يمنع اتفاقا أو يتطرق إليه اختلاف بالجواب ان نصوص الأيمة المتقدمة قاضية بالمنع قال ابن عرفة نقل كلام مالك المتقدم ظاهر ما تقدم منع إعانة غير العدل مطلقا وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فسق الأيمة قد يتفاوت ككون فسق أحدهم بالقتل وفسق الاخر بانتهاك الأبضاع وفسق الاخر بالتعرض للأموال فيقدم هذا على المتعرض للدماء وكذا يترتب التقديم على الكبير من الذنوب والأكبر والصغير منها والأصغر.

❖❖❖❖❖❖

قال فإن قيل أيجوز القتال مع أحد هؤلاء لإقامة ولايته وإدامة تصرفه وهو معصية قلنا نعم دفعا لما بين مفسدتي الفسوقين وفي هذا وقفة وإشكال من جهة كون إعانة على معصية ولكن درء ما هو أشد من تلك المعصية يجوزه قلت ونحوه خروج فقهاء القيروان المميس وغيره مع ابي يزيد الخارجي على الثالث من بني عبيد وهو اسماعيل لكفره وفسق ابي يزيد والكفر أشد انتهى.

(يتبع)

الحديث التاسع والمائة: التعامل مع العلماء: ضوابط وآداب 2/2

في ظلال الحديث:

نص الحديث:

حدثنا عاصم بن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "...وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر" رواه الترمذي.

■ كنا تناولنا في الحلقة الماضية اختلاف الناس في نظرتهم إلى العلماء اليوم خصوصا، حيث نجدهم ينقسمون إلى فريقين متناقضين، فريق يجنح إلى الإفراط والغلو في الطاعة والتقديس، وفريق يجنح إلى التفريط، لايقيمون للعلماء وزنا، ويسعون جادين في تشويه سمعتهم والنيل من كرامتهم، والصواب مع فريق ثالث وسط بينهما، فريق يتحلى أهله بالموضوعية والوسطية والاعتدال، وفي هذه الحلقة سنتناول بعون الله وتوفيقه، بعض الضوابط السانية التي يجب مراعاتها في التعامل مع العلماء العاملين، أو الحديث عنهم، وتناول أفكارهم وتصوراتهم بالدراسة والنقد والتحليل.

الضابط الأول: يجب أن يعلم الجميع أن للعلماء العاملين مكانتهم الرفيعة، وحقوقهم المحفوظة في الإسلام: فهم أولوا الأمر مع الحكام، وهم القادة الذين يتقدمون الأمة نحو كل خير، وهم الطائفة المنصورة الظاهرة بالحق لايضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم، لذا فلهم من الأمة التوقير، والإكرام، قال تعالى : (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين) سورة فصلت/الآية:33. فهؤلاء بشهادة الله عز وجل لا أحد أحسن منهم دينا، ولا أجرا، ولا مكانة ولا مقاما.

وقال صلى الله عليه وسلم: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم" ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير)رواه الترمذي. فهذا فضل العالم على العابد، فكيف بفضله على من سوى العباد من عامة المسلمين لاشك أنه أعظم بكثير!

فالذي يتطاول على هذا الصنف من الناس بالطعن، والتهكم، أو التشهير إثمه مغلظ ومضاعف، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله قال من عادى لي وليا فقد أذنته بالحرب..." رواه البخاري. نسأل الله السلامة.

الضابط الثاني: إن إجلال واحترام وإكرام العلماء يتفاضل ويزيد وينقص بحسب قدم السيرة العلمية، والدعوية، والجهادية لكل عالم، فعلى المسلمين في كل عصر من عصورهم أن يراعوا في تعديلهم وتجريحهم ودرجة توقيرهم واحترامهم للآخرين علماء كانوا، أو غيرهم ضابط الأقدمية والأسبقية في الطلب، والدعوة إلى الله، والجهاد والبلاء في سبيل الله، فلا يستوي المجاهدون والقاعدون، ولا الصادع بالحق من أهل العلم والساكت عن الحق، كما لا يستوي الأقدمون في الدعوة والجهاد، وبذل العلم، والحديثو عهد في الدعوة والجهاد.

الضابط الثالث: من عقيدة أهل السنة والجماعة أن كل إنسان مهما كانت مرتبته ودرجة تحصيله العلمية، يخطئ ويصيب، يؤخذ منه ماأصاب فيه، ويرد عليه ما أخطأ فيه عدا النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم: لذا جاءت النصوص مبينة أن الطاعة لاتكون على الإطلاق، وإنما تكون في المعروف، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ".. لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف)رواه البخاري ومسلم.

والحق أولى بالاتباع والالتزام ولابد من أن يقال للعالم: أصبت فيما قد أصاب فيه ووافق الحق، وأخطأت فيما قد أخطأ فيه وخالف الحق، وهذا لايتعارض أبدا مع حقوقه المشار إليها في الضابط الأول، فاحترام العالم شيء، وإنصاف الحق منه شيء آخر، فديننا قائم على النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

الضابط الرابع: فإن قيل قد عرفنا حق العلماء العاملين، فما بال العلماء الذين يخلطون في دعوتهم ومنهجهم حقا وباطلا، سنة وبدعة، فهل لهم من التوقير والاحترام والإكرام ماقيل عن العلماء العاملين في الضابط الأول؟ وهل النصوص التي قيلت هناك تحمل عليهم؟

لابد من النظر إلى كمية ونوعية البدعة، أو الباطل الذي يتصف به منهج أولئك العلماء المراد تقييمهم، وهم ثلاثة أصناف:

أولا: عالم تغلب حسناته على سيئاته، والبدع التي يتصف بها هي بدع عملية أو بدع لا مساس لها بالتوحيد والأصول وكانت أصوله يغلب عليها السلامة والصحة.. فعالم هذا وصفه يحذر من بدعته وانحرافاته، ويحكم على شذوذاته بالأوصاف الشرعية التي تستحقها، مع بقاء الاحترام لشخصه كعالم من علماء المسلمين بقدر ما يظهر من خير يعم على الإسلام والمسلمين، وإن كان لايجوز أن يحظى من التقدير والاحترام الذي يحظاه العالم العامل.

ثانيا: عالم تغلب سيئاته على حسناته، والبدع والأهواء التي يدعو إليها، لها مساس بالتوحيد والأصول، وكانت أصوله التي ينطلق منها أغلبها يغلب عليها الفساد والبطلان لكنها لم تبلغ به درجة الكفر والخروج من الإسلام.

فعالم هذا وصفه لايؤخذ عنه علم: لتوفر هذا العلم عند غيره من العلماء، ومن مصادر أخرى تخلو مما يتصف به من بدع وأهواء وانحرافات، ولأن الأخذ عنه في كثير من الأحيان لا يمكن من دون الوقوف على شيء من بدعه وأهوائه، أي أن العلم لايمكن أن يصل لطالبه صافيا من دون أن تتخلله الشوائب والشبه.

جاء في الأثر: من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام، لأنه بتوقيره لصاحب البدعة يكون عونا للمبتدع على بدعته، كما يكون سببا لنشر بدعته وضلالاته بين الناس، وما من بدعة تنتشر وتسود إلا وتندرس مقابلها سنة من السنن.

قال الشافعي رحمه الله: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.

ثالثا: عالم. ونحن هنا نسميه عالم تجاوزا. بلغ به طغيانه وانحرافه درجة أن يكون ركنا من أركان أنظمة الكفر، يبرر لهم طغيانهم، وظلمهم، ورضي لنفسه أن يكون بيدهم تلك الأداة والعصاة التي يؤدبون بها الشعوب المقهورة، ويمنعون بها أي عمل جاد يستهدف استنهاض الأمة، واستئناف حياة إسلامية من جديد، وما أكثر علماء السوء هؤلاء في زماننا، فهؤلاء لا غيبة لهم، ولا حرمة، ومن الظلم والجهل أن تحمل النصوص الشرعية التي قيلت في العلماء العاملين، المجاهدين، الصادعين بالحق. كما هو مبين في الضابط الأول. على هذا الصنف من الشيوخ، أو الناس، وتحمل عليهم مقولة: لحوم العلماء مسمومة.

هؤلاء علماء السوء هم السبب الأكبر في انتكاسة الأمة، وهم يدخلون دخولا كليا في الملعونين الوارد ذكرهم في قوله تعالى : (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)سورة البقرة/الآية:159. هذا جزاء من يكتم العلم فقط، فكيف بمن يضم إلى كتمان العلم نصرة الطواغيث الظالمين على المسلمين الموحدين، وتزيين الباطل والحرام في أعين الناس؟!

قال صلى الله عليه وسلم: (إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان) رواه أحمد، فالنبي صلى الله عليه وسلم يخافه على أمته ويحذر منه، لأن عامة المسلمين يظنونه عالما يستحق التوقير والاحترام والإكرام والمتابعة، فالحذر الحذر!

الضابط الخامس: من يتتبع سيرة بعض الصحابة، ومن تبعهم من بعض أهل العلم، يجد أحيانا أن لهم بعض الملاسنات والاطلاقات الشديدة بحق بعضهم البعض قد تكون لحكمة نعرفها، أولا نعرفها، وأنا هنا لا أريد أن أناقش الحق منها من المبطل، وإنما أريد أن أجيب عن سؤال يرد على بعض الألسنة: إذا كنا نحن المسلمين مطالبين باحترام العلماء وإكرامهم فعلام لا نجد أحيانا مثل هذا الاحترام المتبادل للعلماء بعضهم مع بعض، حيث نجد بعض الملاسنات والاطلاقات الشديدة بحق بعضهم البعض؟!

هذا سؤال أجيب عنه من أوجه:

منها: هذه الملاسنات التي تحصل بينهم لاتمنعك من احترامهم، كما لاتبرر لك عدم احترامهم فإن سلمنا أن هذا الذي يحصل بينهم خطأ، فخطأ الآخرين لايبرر لك فعل الخطأ.

ومنها: هذه الشدة التي تحصل من عالم نحو عالم آخر قد تكون لما يعلمه هذا العالم عن العالم الآخر من مزالق، وانحرافات، أو بدع، أو تقصير، ونحو ذلك، هو يعلمها ونحن لانعلمها، تستدعي وتبرر له شرعا. من قبيل تحذير العامة من أخطائه وانحرافاته وإنصاف الحق. مثل هذه الاطلاقات الشديدة بحق ذلك العالم.

ومن ذلك: مانعرفه عن علم الجرح والتعديل الذي تميزت به أمة الإسلام، والمليء بالاطلاقات الشديدة على بعض أهل العلم لضرورة ضبط النقل وتمييز الحديث الصحيح من الحسن، من الضعيف، من الموضوع.

ومنها: أن هذه الشدة قد تكون من قبيل التذكير، أو الزجر للعالم الآخر الذي وقع في التقصير أو المخالفة، وهذا يقع أحيانا، وبخاصة من جهة الفاضل نحو المفضول، فالعالم إن لم يجد عالما آخر يذكره عند النسيان، وينصحه ويسدده عند وقوعه في الخطأ والزلل قد يتمادى في باطله، ولاتؤمن عليه فتنة الطغيان...

وفي الختام: أعود فأذكر بأن من لوازم حسن التعامل مع الدعاة والعلماء، وفهم المسألة جيدا أخذ ومراعاة الضوابط الآنفة الذكر، وإعمالها بعضها مع بعض، فالإفراط وكذلك التفريط غالبا مايكونا بسبب إعمال ضابط، أو بعض الضوابط الأنفة الذكر، وإهمال بعضها الآخر فتنبه رحمك الله.

(ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم)سورة الحشر/الاية:10. وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

فوائد الحديث:

× مكانة العالم في السماء والأرض محفوظة ومتميزة.

×الحث على توقير أهل العلم، والتواضع لهم، والرضى على صنيعهم والدعاء والاستغفار لهم.

×فضل العالم، لما يبثه في الناس ويشعه من نور يضيء لهم طرق الخير والحق.

×العلم أعظم ثروة وأشرفها، ينبغي لمن حازها أن يحترمها ويكرمها.

×كمال العلم بالعمل والاقتداء برسول الله في الخلق والسلوك.

×إهانة العلماء وإيذاؤهم فسوق وضلال، لأنهم حملة ميراث النبوة.

×مكانة العلماء تكون على قدر عملهم وبذلهم وجهادهم.